

الليل والنهار

كل منهما لا يأتى فجأة
 وإنما ينساب بهدوء ،
 مثل مياه المد والجزر ؛
 قبل حلول الليل ،
 تسقط الشمس الأرجوانية فى الأفق
 حينئذ تعود الطيور لأعشاشها
 ويبدأ البحر فى تغيير زرقته
 إلى لون رمادى كئيب
 ثم يسود المظلام
 فيلف القرى المستكنة فى عباءته
 لكن المدينة ترفض الانصياع
 فتشعل مصابيحها ، وتتألأأ ..
 هناك من يسهرون طوال الليل
 يسمرون ، ويعريدون ..
 وهناك من يتسللون فى قلب الليل
 ليشتبعوا شهواتهم
 وهناك من يجفونهم النوم
 فيتقلبون على فراش الأرق
 تحت مطارق دقائق ساعة الحائط ..
 وهناك أخيراً من ينتظرون رحيل الليل
 ليخرجوا بحثاً عن لقمة عيشهم ؛

أما النهار ..

فهو واضح وصريح
 يفرش الأرض بالنور
 فيكشف المستور ؛
 ويميز القصور من القبور ..
 وحين ترتفع الشمس البيضاء
 يدب النشاط فى الجميع
 فيسرع كل إلى عمله
 البعض يركب السيارات المفارحة
 والبعض يحشر نفسه فى القطارات والميكروباصات
 والبعض يمشى على قدميه ..
 يبدو أن الجميع منشغل بالعمل
 لكن كل واحد غارق فى أعماق مشكلاته الخاصة

والغريب :
أن الذين يبذلون جهداً أكبر
لا يحصلون إلا على أجر زهيد؛
بينما أصحاب الأرباح العاليه
هم المرتاحون فى المكاتب المكيفة ..
يتحدثون قليلا ،
ويضحكون كثيراً
لكنهم يدخنون السيجار
وقد يأكلون الكافيار
لذلك يصابون بالجلطة
ويحملونهم على الفور إلى غرف العناية المركزة؛

من قال : ان النهار ينتهى بحلول الليل؟
إنه ينتهى بالفعل بعد وجبة الغداء ..
عندما تمتلئ البطون بالطعام ،
وأحياناً بالماء؛
بعدها تثقل الجفون
وينام المرتاحون ، مثل المرهقين
قيلولة تمضى بدون أحلام؛
وعندما يستيقظون
يشرب بعضهم الشاي وسط أسرته ،
ويذهب الكثيرون إلى المقهى
يدخنون الشيشة
وينكفئون على لعب الطاولة
ويستمع بعضهم لهموم بعض !

فإذا استعرضنا بعض ما ورد

فى القرآن الكريم

حول الليل والنهار

وهو كثير جدا

(57 مرة للنهار ، 93 مرة ليل)

لأحظنا مدى الأهمية التي يحظى بها

كل من الليل والنهار

ودالتهما على خلق الله ،

وقدرته ، وتديره ، وتسخيره لهما

باعتبارهما آيتين من آياته

التي ينبغي أن يتدبرها كل إنسان

لكي يقف منها على حكمة الله في الكون ،

ورحمته بالبشر .

الليل والنهار من خلق الله مثل سائر الكواكب :

(وهو الذى خلق الليل والنهار والشمس والقمر)

وجعلهما من آيات الله

أى من العلامات الدالة على وجوده وألوهيته :

(إن فى خلق السماوات والأرض

واختلاف الليل والنهار

لآيات لأولى الألباب)

كما أنه هو الذى قدر مسافة كل منهما

وحدد له هدفا لمصلحة الإنسان :

(والله يقدر الليل والنهار

) ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار

لتسكنوا فيه ، ولتبتغوا من فضله)

وهو يدير كلا منهما تبعا لنظام كونى مستقر :

(يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ)

(أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ ،

وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ)

(وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ)

وَكَمَا اخْتَصَّ تَعَالَى بِالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ

فَقَدْ اخْتَصَّ بِاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،

وَتَكْوِيرِهِمَا ، أَيْ تَدْوِيرِ أَحَدِهِمَا بَعْدَ الْآخَرِ ،

وَعَدَمِ تَدَاخُلِ أَحَدِهِمَا فِي الْآخَرِ :

(وَهُوَ الَّذِي يَحْيِي وَيَمِيتُ ،

وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ)

(خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ

يكوّر الليل على النهار

ويكوّر النهار على الليل)

(وهو الذي جعل الليل والنهار خلفه

لمن أردأن يذكّر أو أراد شكورا)

ومن أهم نعم الله على الإنسان

أنه قسمّ يومه بين الليل والنهار

ودعاه إلى أن يتفكر في حاله

لو جعل له الليل مستمرا بدون نهار :

(قل رأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمدًا

إلى يوم القيامة ، من إله غير الله

يأتيكم بليل تسكنون فيه .

أفلا تبصرون)؟!

ومن تجاربي الشخصية

أننى عزمت ذات يوم على السفر

من الإسكندرية قبيل الفجر

وكان الليل ما زال يلف المدينة بعباءته

ولم أكد أتجاوز أطرافها

حتى فوجئت بـ (شبورة)

تسقط على الطريق

فتحجب الرؤية تماما

ركنت السيارة على أحد الجوانب

ورحت أشاهد منظر انسلاخ النهار

من الليل ..

بدأ الضوء خافتا جدا وضعيفا

ثم راح ينداح فى الأفق بالتدريج

ورويدا رويدا .. تحول المظلام إلى غيش

ويدفعة واحدة ، عم الضوء وانتشر

وحين ظهر قرص الشمس

تلاشت حدة المشبورة

وأصبح الطريق واضحا

عندئذ بدأت السيارات المتوقفة تتحرك ..

وبعض الطيور تحلق فى السماء !
